(٤) وقال في ذكر النعم وفي مدح بعض شيوخه:

١- الحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي وَقَى الأَسَى

٢- وَجَنَّبَ الشُّرُورَ وَالْجُرْحَ أَسَا

(*) هذه الأرجوزة في ديوان الطوبوي «ما قبل العشرين» وهو الديوان الأول له، فهي مما قاله قبل العشرين من عمره، وفيها مدح لشيوخه الثلاثة الذين ذكروا في ترجمته: الشيخ محمد الفاضل البَكِّيّ، أول من درسه العلم، والشيخ عبد الله البكي درسه الفقه المالكي وشيئا من العقائد، والشيخ علي سك درسه فقه الحديث وشيئا من علوم الحديث وشيئا من الفقه. انظر لهذا الديوان (٧/١) وانظر الأرجوزة في الديوان (٨٩/١-٩٧) نشر: تراث السناغلة.

(١-٢) الحمد لله: قيل: إن الحمد على أربعة أقسام: حمد قديم لقديم وهو ثناء الله تعالى على نفسه مثل: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ الفاتحة/١، وحمد قديم لحادث وهز ثناء الله سبحانه على عبده مثل قوله في أيوب: ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ ص/٤٤، وحمد حادث لقديم وهو حمد العبد ربه، وحمد حادث لحادث وهو شكر العبد أخاه، وكل هذه تعود إلى الله سبحانه وتعالى فمنه كل النعم. =

٣- وَأَلْـهَمَ الْخَـــيْرَ وَقَـوْلًا مُؤْنِسَا

٤- فَفَاقَ شِعْرِي الشَّرَابَ الْمُحْتَسَى

٥- وَرَجَزِي عَلَى الأَعَادِي الرَّجَسَا

٦- وَقَلْبِي إِذَا قَـرَيْتُ الْجَرَسَـــا

= وقاه الشيء: كفاه إياه وعصمه منه قبل وقوعه عليه. وأسا الجرح يأسوه أسوا وأسا، وآساه يؤسيه إساء: عالجه، والآسي: الطبيب والجراح، والجرح أَسِيّ إذا عولِجَ، وقول الشريف الرضي:

آسِي الْخَفِيظَاتِ إِذَا الدَّاءُ أَلَمّ   عَاجَلَ أَدْوَاءَ الْعُرُوقِ فَحَسَمْ
حَشْحَشَةَ الذِّئْبِ عَوَى مِنَ الْقَرَمْ

(٣-٤) الإلهام: شيء يقع في النفس يطمئن له القلب، يلقيه الله في قلب من يشاء، وقد يعبر عنه بـ(الوحي) كما في قوله جل وعلا: ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ النحل/٦٨، واحتساء الشراب: تناوله جرعة بعد جرعة، ويقابله العب -بفتح العين- وهو تناوله دفعة واحدة، وفي الخبر: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يعب الشراب عبا، أو كما قال.

(٥-٦) الرجس: الصوت العظيم العالي، كما يقال: رجس الرعد يرجس رجسا: عظم صوته واشتد، ورجست السماء كذلك: رعدت شديدا. وقرى الشيء يقريه قريا وقرى -بفتح القاف فيهما-: جمعه، المعنى: إذا جمعت فكري، وأرى=

٧- سُبْحَـــانهُ أَنْعَمَ نعْمَى فَنَسَى

٨- قَلْبِي الَّذِي كَانَ قُبَيْلُ مَسِسَا

= منه (القرية) إذ تقوم بجماعة أو تضمها. وفي وإن قلت: (وقلبي إذا بريت) بالباء، فبرى القلم يبريه بريا: إذا رفعه ليكتب.

(٧-٨) نسى: هذا على لغة الإبدال، فتبدل الياء ألفا، وقد ذكرها القزاز القيرواني في «ما يجوز للشاعر من الضرورة» وقال: قيل إنها لغة لطيئ، وذكر قول الشاعر:

أَلاَ آذَنَتْ أَهْلَ الْيَمَامَةِ طَيِّئٌ بِحَرْبٍ كَنَاصَاةِ الْأَغَرِّ الْمُشَهَّرِ

قال: أرد (كناصية الأغر) فأبدل. وقول الآخر:

لَعَمْرُكَ لاَ أَخْشَى التَّصَعْلُكَ مَا بقَى عَلَى الْأَرْضِ قَيْسِيٌّ يَسُوقُ الْأَبَاعِرَا

قال: والوجه (بقي) فاستعمل لغة الإبدال. انتهى ما نقلناه عن القزاز. وقد استشهد لها الطوبوي أيضا بقول النجاشي الحارثي:

أَرْوِدْ قَلِيــلًا فَأَنَا النَّجَاشِي مِنْ سَرْوِ كَعْبٍ لَيْسَ بِالرَّقَاشِي

أَخُــو حُرُوبٍ فِي رِبَاطِ الْجَاشِ

واستعملها الراجز -الطوبوي- أيضا في قوله:

مُنْسَجِمًا مُنْسَكِبًا حَتَّى رَضَى رَاضٍ وَبَلَّتْ كُلُّ أَرْضٍ فَمَضَى

وفي قوله:

وَعِزًّا بَقَى مُقْعَنْسِسًا لَمْ يَعِزْهُ عَزِيزٌ وَكَانُوا الدِّرْعَ فِي كُلِّ بَاسِلَهْ

فهو كذلك وليس بلحن كما زعم قصير باع في هذا العلم.

٩- صَمِيمَهُ بِالسُّمِّ جَرَّ الْأَبْؤُسَا

١٠- وَالْوَصَمَ الْمُمِيتَ يُرْدِي الْأَنْفُسَا

١١- وَالْوَصْمَ وَالْوَصْمُ كَفَاكَ نَجَسَا

١٢- وَهْوَ الَّذِي يُذْهِبُ عَنِّي مَنْ أَسَا

١٣- مُنَكَّسًا بِكَيْدِهِ مُسْتَخْسَسَا

١٤- مُقَهْقِرًا يَعْدُو بِهِ كَالْمَلَسَى

١٥- وَحَاسِدًا إِذْ لَجَّ فِيهِ مُرْكَسَا

(٩-١٠) صميم كل شيء: وسطه. السم: بفتح السين وضمها، لغتان. الوصم: كالمرض وزنا ومعنى. وأرداه يرديه: أهلكه.

(١١-١٢) الوصم: كالعيب وزنا ومعنى.

(١٣-١٤) منكسا: مقلوبا، مردودا عليه كيده، تنكيس الشيء: قلبه وأن تجعل عاليه سافله. مستخسسا: هذا بفك الإدغام، يقول: مستخسّا -بفتح المعجمة وتشديد السين المهملة- أي محتقرا، والخسة: الحقارة والدناءة. وقهقر -كدحرج- وتقهقر -كتدحرج-: تراجع، والملسى: الناقة في نهاية السرعة.

١٦- وَمَنْ يَكُونُ لِلْقِلَى مُهَسْهِسَا

١٧- وَمَنْ يَكُونُ فَاسِقًا مُبَسْبِسَا

١٨- وَمَنْ بِأَرْضِ الْبَغْيِ كَانَ مُؤْرِسَا

١٩- فَلاَ أُبَالِي دَاحِسًا إِنْ دَحَسَا

٢٠- أَوْ جَاهِلًا أَخْنَسَهُ مَنْ أَخْنَسَا

٢١- أَوْ وَلَدًا هَبَنَّقًا تَفَرْنَسَا

(١٥-١٦) ولج في الشيء: أصر عليه. وأركسه فيه: أوقعه ورده، من قوله تعالى: ﴿والله أركسهم بما كسبوا﴾ النساء/٨٨، القلى: البغض. وهسهس الشيءَ: إذا أخفاه، والمهسهس في ضحكه: الذي يضحك بخفة وصوت مخفوض.

(١٧-١٨) المبسبس: النمام. والمؤرس: الذي يعمل في أرض سيده ويحرث له فيها، والأريس: الحرَّاث.

(١٩-٢٠) الداحس: يقال دحس بين القوم: أفسد بينهم، ودحس بالشر: دسَّه وستره فلا يُعلم. وأخنسه نخنس: أخره فتأخر.

(٢١-٢٢) الهبنق: الأحمق، وتفرنس: إذا صار يقلد الفرانسة -قوم فرنسا- بلباسهم أو شيء من أفعالهم وحركاتهم، كما تقول: تَأَمْرَكَ: إذا فعل ذلك في =

٢٢- فَكَانَ فِي ضَلَالِهِ مُتَيَّسَا

٢٣- أَوْ مَاكِرًا مُكَرْكِرًا مُنَّمِسَا

٢٤- فَإِنْ أَدَرْتُ اللُّحْظَ مَدَّ الْمَرَسَا

٢٥- فَمَا يُدِيتُ أَوْ أُرَى مُحَسْحِسَا

٢٦- وَلاَ رُجِلْتُ فَاسْتَتَرَّ نَكِسَا

= قوم أمريكا. والمتيس: المدرب على أمر من الأمور فهو يفعله.

(٢٣-٢٤) مكركرًا: يقول هو يكركره: يكرره، ويعود إلى محاولة بعد أخرى، منمسًا: مستترًا متخفيًا، واللحظ: الوجه ضم الحاء المهملة فسكّن للوزن، وهو ضرورة حسنة كثيرة في حروف الحلق، وهو جمع لحاظ، وهو طرف العين مما يلي الأذن، والمرس: الحبل، والجمع أمراس، قال رؤبة:

قُودٌ ثَمَانٍ مِثْلُ أَمْرَاسِ الْأَبَقْ

والأبق نبت، شبه أعناقها الطوال بهذا النبت الذي له قصب طويل كالحبل، أو الواحدة مرسة والجمع: مرس -بضم الأول والثاني فيهما-.

(٢٥-٢٦) يدي -بالبناء للمفعول-: أصيب من يده، ورجل كذلك: أصيب من رجله قال صاحب «المنجد»: ويقال للصيد إذا أصيب: أَمَيْدِيٌّ أم مَرْجُول=

٢٧- وَهْوَ الَّـذِي بَـرَّسَ مَـا قَدْ بَـرَّسَا

٢٨- مُعْصَوْصِباً كَانَ قُبَيْلًا أَغْبَسَا

٢٩- مُحْلَـوْلِكًا أُرَى بِـهِ مُرْتَـمِسَا

٣٠- فِي رَنَقِ الْمَـاءِ أَهَابُ الْغَبَسَـا

٣١- لاَ قَمَـرٌ وَلاَ ضِيَـاءٌ أَحْـرُسَـا

٣٢- إِذْ حَالَ دُونِي جَيْرِ سُحْبٌ دَكِسَا

٣٣- دَعَوتُهُ نِعْمَ الْمُجِيبُ مُهْلِسَا

= والنكس: الفاشل الخاسر.

(٢٧-٢٨) برس الأرض: سهلها ولينها، والأرض المعصوصبة: الجدبة، واعصوصب الأمر: اشتد، والأغبس: ما كان لونه رمادياًّ.

(٢٩-٣٠) ارتمس في الناء: اغتمس فيه، ورنق الماء: كدرته، والغبس: الظلمة.

(٣١-٣٢) أحرس: جمع حرس -بفتح الأول وسكون الثاني-: الزمن الطويل، وجير: معناه أجل، ودكس السحب: إذا تراكم.

٣٤- مُهْتَدِيًا بِهَدْيِهِ مُخْتَبِسَا

٣٥- أَقْرَأُ فِي كِتَابِهِ مُسْتَنْحِسَا

٣٦- ثُمَّ انْتَقَى نَقَاءَهُ فَمَلَسَا

٣٧- وَأَبْعَدَ الْحِجَابَ غَيْرَ أَكْلَسَا

٣٨- صَبَّ عَلَيَّ مَاءَهُ تَبَسْبَسَا

٣٩- فَنَامَ لَيْلِي وَجِنَانِي أَدْحَسَا

٤٠- فَنِلْتُ وَالنَّائِلُ غَيْرُ أَجْبَسَا

(٣٣-٣٤) مهلسًا: مخفيًا دعائي. اختبس الشيء: أخذ به.

(٣٥-٣٦) يستنحس الأمر: يتتبَّعه ويبحث فيه، كالتحسس في قوله سبحانه: ﴿يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه﴾ يوسف/٨٧، وملس: ذهب ذهابًا سريعًا.

(٣٧-٣٨) الأكلس: الأسود القاتم، أي سواده غير شديد. تبسبس الماء: جرى جريانًا.

(٣٩-٤٠) نام ليلي: هذا من وصف الشيء بما يقع فيه أو يكون منه، انظر =

٤١- دَغْفَقَ عَيْشٍ وَنَعِيمًا دَوْكَسَا

٤٢- تَبَارَكَ اللهُ الَّذِي تَقَدَّسَا

٤٣- وَمَنْ يُرِيدُ الْمَحْسَ يَأْتِي الْأَمْحَسَا

٤٤- طُوبَى وَمَا طَابَ الَّذِي تَدَسَّسَا

= فقه اللغة للثعالبي: ص٣٩٢، قال: «ومن سنن العرب وصف الشيء بما يقع فيه أو يكون منه، كما قال تعالى: ﴿فِي يوم عاصف﴾ إبراهيم/١٧، أي يوم عاصف الريح، وكما تقول: ليل نائم أي يُنام فيه، وليل ساهر يُسهر فيه» اهـ.
وقال رؤبة:

حَارِثُ قَدْ فَرَّجْتَ عَنِّي غَمِّي فَنَامَ لَيْلِي وَتَجَلَّى هَمِّي
وَقَدْ تَجَلَّى كُربُ الْمُحْتَمِّ

والجنان -بكسر الجيم-: جمع جنة، ويقال: أدحس السنبل: إذا امتلأ حبه، والأجبس: الجبَان.

(٤١-٤٢) دغفق عيش: قال في اللسان: «الدغفق: الماء المصبوب» والعيش الدغفق: الرغد الناعم. نعيمًا دوكسًا: أي كثيرًا جمًّا. تقدس: تنزه.

(٤٣-٤٤) المحس الدبغ: محس الجلد: دبغه، والأمحس: الماهر في الدبغ، يقول: فلما أردت الخير أتيت من له اليد العليا في ذلك، ولله المثل الأعلى. وطوبى: مدينة وسط السنغال، أسسها الشيخ أحمد امباكي -المشهور بخادم الرسول ﷺ =

٤٥- مَنَازِلٌ سَكَنَّ جَمًّا أَنَسَا

٤٦- عَرَفْتَ مِنْ بَيْنِ الكِرَامِ أَلْيَسَا

٤٧- ذَا خُلُقٍ فِي النَّاسِ غَيْرَ أَحْوَسَا

٤٨- وَلاَ يَكُونُ فِي البُيُوتِ شَكِسَا

= وبالشيخ الخديم- سنة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م، من أجل العلم والعمل، وله رجزه المشهورة فيها كلها دعاء في مدينته هذه، ويزعم بعض الناس أن للسنغاليين فيها حجًّا ثانيًا، وذلك غير صحيح، وإنما هو يوم يجتمع فيه الناس بطوبى من مختلف الأمصار، فيضيَّفون بأنواع الطعام ويلزمون فيه قراءة القرآن الكريم والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، وأصل ذلك أن الشيخ المؤسس له في ذلك اليوم -أي الثامن عشر من شهر صفر- سيرته المشهورة وهي الغيبة البحرية، فطلب ممن استطاع أن يطعم ويقرأ القرآن الكريم والذكر في ذلك اليوم أن يفعله حيث هو، ولم يأمر بالوفود إلى طوبى، وإنما ذلك من خليفته الثاني، ثم إن الناس لا يسمونه حجًّا ولا يعتبرونه كذلك. وطوبى ولد فيها الراجز شيخنا الطوبوي، وفيها تعلم ونشأ وترعرع، وإليها ينسب.

(٤٥-٤٦) سكن جما أنسا: هذا قلب، والوجه: سكنهن أنس جم، والأنس: الجماعة الكثير من الناس، والجم: الكثير. والأليس: الشجاع، أو هو الأسد.

(٤٧-٤٨) الأحوس: الجريء، والشجاع، واللئيم الذي لا يقنع بشيء وهو =

٤٩- وَلاَ يَكُونُ فِي الْبُيُوعِ مُحْلِسَـــــا

٥٠- بِالْعِلْمِ وَالدِّينِ الْقَوِيمِ أُسِّسَا

٥١- تَــــرَى هُنَاكَ مَجْلِسًا وَمَجْلِسَا

٥٢- وَعَــــالِمًا مُدَرِّسًا مُــدَرِّسَا

٥٣- عَشْرًا وَعِشْرِينَ وَخَمْسًا خُمِّسَا

٥٤- يَـــا لَيْتَنِي عَنْ غَيْرِهِمْ مُكْتَنِسَا

= الأقرب هنا. الشكس: السيء الخلق.

(٤٩-٥٠) أحلسه في البيع: غبنه، قويم: مستقيم لا عوج له.

(٥١-٥٢) مجلسًا ومجلسًا: هذا دلالة على التعدد، مدرسا مدرسا: تكرار للتوكيد، أو يكون أحدهما بمعنى المعلم والآخر بمعني المربي.

(٥٣-٥٤) عشرًا وعشرين إلخ: دلالة على الكثرة، والخمس إذا خُمس -أي ضوعف خمس مرات- صار خمسًا وعشرين. وقوله: يا ليتني عن غيرهم مكتنسًا: بنصب الخبر (مكتنسا) هذه لغة لتميم، فيُنصب بإن الاسم مع الخبر، قال الفراء: ذلك في إن وليت.

٥٥- لَوْلاَ حُسَيْنَى فِي الْحِسَانِ لَعَسَا

٥٦- وَرَعْبَلِيبٌ رَقَّ أَنْ تَحَسْحَسَا

٥٧- نَجْلاَءُ وَهْيَ شَرُّ مَنْ تَبَهْنَسَا

٥٨- وَلَوْ رَأَيْتَ جَنْبَهَا الْمُخْتَبَسَا

٥٩- وَالصَّبْوُ فِي ثَرَى الْفُؤَادِ طَهَسَا

٦٠- حَسِبْتَهُ وَلَمْ يَكُنْهُ أَهْوَسَا

(٥٥-٥٦) الرعبليب: المرأة الملاطفة، وتحسحس: فعل مضارع حذف منه إحدى التاءين للتخفيف، والتحسحس: التحرك عند القيام. وقوله لعساء: الأصل تسكين العين المهملة ففتحها للقافية، واللعساء: التي فيها لعس، وهو نقطة سوداء قرب الشفة، وللمذكر: ألعس.

(٥٧-٥٨) النجلاء من العيون: الواسعة الحسنة، وتبهنس في مشيته: تبختر. جنبها: هذا ظرف مكان، والمختبس: المأخوذ، يعني بالحب والعشق، والثرى: التراب، وطهس: قال في اللسان: «قال أَبو تراب: سمعت أَعرابيًّا يقول طَمَسَ في الأَرض وطَهَسَ، إذا دخل فيها إما دخل فيها إِما راسخًا وإما واغلًا، وقال شجاع بالهاء» اهـ .والأهوس: من به هوس -بفتح الأولين- وهو الجنون.

٦١- وَالْحُبُّ كَانَ لِلْقُلُوبِ مُعْنِسَا

٦٢- وَلِلْفَتَى عَنِ الْعُلُومِ مُنْعِسَا

٦٣- وَعَنْ عُلَا الْمَجْدِ لَهُ مُبَنِّسَا

٦٤- وَمَنْزِلٍ يَسْكُنُهُ بَعْضُ النِّسَا

٦٥- فَهْوَ بِسُكْنَاهُنَّ فِيهِ دُنِّسَا

٦٦- كَمَا بِسُكْنَاهُنَّ فِيهِ اسْتُئْنِسَا

٦٧- يَقُمْنَ بِالْفَجْرِ إِذَا مَا أَغْلَسَا

(٦١-٦٢) معنسًا: مغيرًا، منعسًا: مغفلًا وملهيًا.

(٦٣-٦٤) مبنسًا: مؤخرًا.

(٦٥-٦٦) استئنس: أي صار فيه الأنس، يقول: دنس بسكناهن فيه، لأنهن قد يشغلنك عن العبادة أو يفسدنها عليك باللجاج والصخب، فتفقد السكينة، وهو مأنوس بكونهن فيه أيضًا، لأن النساء أنس الرجال.

(٦٧-٦٨) أغلس: دخل في وقت الغلس، ولعله بتقدير فاعل مثل: إذا أغلس القوم، أو إذا أغلس الصبح، أو يكون مبنيًّا للمفعول فتقول: أُغلس =

٦٨- يُسْقِينَنَا الْقَهْوَةَ صُبْحًا وَمَسَا

٦٩- يُنْقِينَ بِالْمَاءِ الأَوَانِي وَالْكُسَى

٧٠- يُطْعِمْنَنَا بَعْدَ الْعِشَاءِ كُسْكُسَا

٧١- وَقَدْ أَرَى وَاللَّيْلُ فِيهِ أَدْمَسَا

= وقوله: يسقيننا القهوة صبحًا ومساء: إشارة إلى عادة أكثر الناس في مدينة طوبى وهي: شرب القهوة في الصبح والمساء.

(٦٩-٧٠) ينقين: ينظفن، والأواني: قدر عليه الفتحة للضرورة، وذلك يكون في الفعل المعتل والاسم المنقوص، فمن ذلك في الفعل ما ينشده النحاة لرؤبة:

إِذَا الْعَجُوزُ غَضِبَتْ فَطَلِّقِ وَلاَ تَرَضَّاهَا وَلاَ تَمَلَّقِ

فقدر السكون على ألف (ترضى) وفي الاسم ما ينسب لرؤبة -وقيل ليس له-:

كَأَنَّ أَيْدِيهِنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقْ أَيْدِي جَوَارٍ يَتَعَاطَيْنَ الْوَرِقْ

فقدر الفتحة في (أيدي).والكسكس: طعام معروف في شمال أفريقيا وغربها، يشبه السويق، ومنه في السنغال ما يصنع من الأرز المطحون والذر، ومنه المصنوع من القمح، ولعل الطوبوي هنا يقصد السويق لأنه الطبق المعتاد المستدام للعشاء في حيه «دار المنن».

(٧١-٧٢) أدمس الليل: أظلم، والأدموس -بضم الأول وسكون الثاني-: الظلمة الشديدة. ويقال: هدهدت الأم وليدها: حركها في المهد لينام، وخنسًا =

٧٢- وَهَدْهَدَتْ أُمُّ الصَّبِيِّ خُنَّسَا

٧٣- جَوَارِيًا إِذَا بَدَوْنَ كُنَّسَا

٧٤- حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ بِهِ تَنَفَّسَا

٧٥- أَزَاحَ عَنِّي ظِلُّـــهُ وآنَسَا

٧٦- قَرَأْتُ فِيهِ تَوْبَةً وَيُونُسَا

٧٧- وَآلَ عِمْرَانَ وَسُورَةَ النِّسَا

= مفعول (أرى).

(٧٣-٧٤) الجواري: يجرين في الفلك، والخنس: يختفين في النهار، والكنس: يكنسن في بروجهن -حين يبدون في الليل- كما تلجأ الظباء إلى أكنستها، يريد بذلك الكواكب الخمسة، كما قال بعض أهل التفسير أنه المرادة في قوله سبحانه: ﴿فلا أقسم بالخنس * الجوار الكنس﴾ التكوير/١٥-١٦، وهي المريخ والمشتري وعطارد والزهرة وزحل.

(٧٥-٧٦) ظل الصبح: ما بعد الإسفار قبل طلوع الشمس، حين النسيم الطيب، يقول: أزاح عني ظل الصبح وأذهب عني النكد ووجدت فيه السكينة والهدوء.

٧٨- دَعْ ذَا وَذَكِّرْهُمْ فَتًى عَمَلَّسَا

٧٩- الْأَكْرَمَ الْبَرَّ النَّصُوحَ الْأَحْمَسَا

٨٠- وَفَاضِلَ الدَّهْرِ الْبَكِيَّ الْأَقْعَسَا

٨١- وَصَاحِبَ الْخُلْقِ إِذَا مَا هَسْهَسَا

٨٢- مُصَافِحاً عَجِبْتَ مِنْهُ النَّدُسَا

(٧٧-٧٨) العملس: الجميل المليح، والعملس أيضًا: القوي على السير.

(٧٩-٨٠) الأحمس: الشجاع، النصوح: ينصح الناس بإخلاص، والأقعس: الشجاع ذو العزم يثبت حتى يبلغ مراده؟ فاضل الدهر: يقول هو فاضل أبدًا، واسم الشيخ الممدوح هنا: محمد الفاضل، والبكي: بفتح الباء وتخفيف الكاف والأصل فيها الشدة، فتهمل للتخفيف، وهو نسبة إلى «بَكِّ» قبيلة واسعة في السنغال منها أكثر رجال الدين، وأصولهم من أهل البيت عليهم السلام، ويقال للمنتسب إليها أيضًا «امْبَاكِي» ولا ينسب إليها من لم يكن منها من جهة العصبة ولو كان منها من جهة الرحم.

(٨١-٨٢) هسهس في الضحك: ضحك بخفة، والندس: جواد كف الندى، أو طيبة رائحة الكف.

٨٣- فَيَـــا جَزَاهُ اللّٰهُ فِيمَا غَرَسَا

٨٤- كَفَاهُ رَبِّي تَـــبَبًا وَتَعَسَـــا

٨٥- يَا شَيْخُ عَبْدَ اللّٰهِ أُسْوَةَ الْأُسَى

٨٦- شَيْخَ الشُّيُوخِ وَرَئِيسَ الرُّؤَسَا

٨٧- وَمَالِكَ الْعَصْرِ الَّذِي إِنْ جَلَسَا

٨٨- حَسِبْتَهُ الْفِقْهَ لِبَاسًا أُلْبِسَـــا

٨٩- مُطَهِّـــرَ الْقَلْبِ الَّذِي تَدَنَّسَا

(٨٣-٨٤) فيا جزاه الله: «يا» هنا إما للتنبيه، وإما للنداء فقدر المنادى، وفي الحديث: «يا رب كاسية في الدنيا عالية في الآخرة» وراجع للبيان: شرح شذور الذهب لابن هشام. والتبب: الخسران، والتعس: الهلاك.

(٨٥-٨٦) الأسوة والإسوة: القدوة، وجمعه: الأسى: بضم الهمزة.

(٨٧-٨٨) مالك العصر: يقول كالإمام مالك بن أنس في الفقه، وهذا الشيخ عبد الله الذي درس عليه الطوبوي بعض الفقه المالكي وقرأ عليه متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني.

٩٠- وَمُحْيِيَ الْعِلْمِ الَّذِي قَدْ رُمِسَا

٩١- كَرَّسْتَهُ وَلَمْ يَكُنْ مُكَرَّسَا

٩٢- وَمَاؤُهُ بَجَسْتَهُ فَانْبَجَسَا

٩٣- رَدَدْتَ قِتْلًا كَانَ قَبْلُ مُنْمِسَا

٩٤- وَعَيْنُهُ فَقَأْتَهَا فَاحْمَوَّسَا

٩٥- رَفَعْتَ سَقْفًا بِالْهُدَى مُقَرْنَسَا

(٨٩-٩٠) مطهر القلب: مزكيه، كما قال الله لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ التوبة/١٠٣، ورمس: قُبر، والرمس -بفتح فسكون-: القبر.

(٩١-٩٢) كرسه تكريسًا: جمعه، ومنه تكريس الكتب، والكراسة: ا يُجمع فيها العلم ويدوَّن، وفي ذلك عن ابن عباس: الكرسي بمعنى العلم، وبجس الماء فانبجس، وبجسه -رباعي- فتبجس: أساله فسال، كذلك ماء بجيس.

(٩٣-٩٤) القتل -بالكسر ثم السكون: العدو، أنمس بين القوم: أفسد بينهم وأغرى بعضهم ببعض، واحموست عينه واحموس هو: احمرت من شدة الغيظ.

(٩٥-٩٦) قرنسة السقف: تزيينه بما يخرج منه. واعلولى: علا وارتفع، =

٩٦- مُـعْلَـوْلِيَ الـسَّـمْكِ وَتُرْبُهُ جَـسَا

٩٧- فَـلَا شَـكَى الْبَأْسَ وَلاَ تَقَوْعَـسَا

٩٨- فَـإِنَّـكَ الْقَـرْمَ الْـهُـمَامَ الْهِـنْدِسَا

٩٩- فِي زَمَـنٍ كَـانَ الْفَـصِيحُ أَبْلَـسَـا

١٠٠- قَـدِ ارْتَدَى أُفْقُ الشَّبَابِ الْخِنْدِسَا

= والسمك: السموُّ والارتفاع، والسقف أيضًا كما في قوله تعالى: ﴿رفع سمكها فسواها﴾ النازعات/٢٨، وجسأ الترب يجسأ جَسأً وجسوءً وجُسأة: صلب، ويقال: جسا يجسو جسوًّا، من باب خلا. يقول: سقفه عال لا يسفل، وأرضه صلبة لا تنهار.

(٩٧-٩٨) تقوعس: تهدَّم، والقرم: السيد العظيم، وكذا الهمام، والهندس: الفطن الكيِّس، والأسد الشجاع أيضًا، والهمام: من علت همتُه وعظمت.

(٩٩-١٠٠) كان الفصيح أبلسا: يقول: في زمن حار في ذوو الفكر، وأبلس الفصاح فلا يدرون ما يقولون، والخندس: الظلمة، وفي الصحاح: الليل الشديد الظلمة؛ راجع لسان العرب. وهذا كناية عن اتساع الجهل في الشباب وكثرة الضلالة. ونصب (القرم) على اللغة المذكورةِ التي هي لتميم، هذا على القول بأنه خبر إنَّ، وإلا فالخبر هو شبه الجملة (في زمن).

١٠١- كَمَا لَبِسْتُ فِي السَّوَادِ الْبُرْنُسَا

١٠٢- فَجِئْتَ وَالْقُلُوبُ قَدْ تَنَكَّسَا

١٠٣- آتَيْتَ مِنْ نُورِ الْكِتَابِ قَبَسَا

١٠٤- بَنَيْتَ مَا انْبَرْكَمَ بَعْدَ الْمُؤْتَسَى

١٠٥- وَأَرْسُمًا بَيْنَ التِّلَالِ دُرُسَا

١٠٦- كَفَاكَ رَبُّنَا الْوُجُوهَ الْيُبَّسَا

(١٠١-١٠٢) السواد: أي الظلمة، والبرنس: لباس يكون معه غطاء الرأس، يكثر في المغرب العربي. وتنكَّست القلوب: تقلبت وتغيرت.

(١٠٣-١٠٤) قبسًا: شعلةً من نوره. انبركم: انهدم، الشناقطة يقولون: انبركم، وتكمكم: انهدم. والمؤتسى: من يؤتسى به ويقتدى، ولعله أراد به النبي صلى الله عليه وآله.

(١٠٥-١٠٦) التلال: جمع تل، بفتح الفوقية: ما ارتفع من الأرض عما حوله، ولعله استعمل هذا اللفظ للدلالة على شرف وعلو تلك الآثار التي أحياها. وجوه يبس: يقال: يابس: لا خير فيه، كأنه مشؤوم أو بغيض.

١٠٧- وَقَدْ كَفَاكَ الْعِلْمُ مَنْ تَغَطْرَسَا

١٠٨- وَيَا عَلِيًّا الْعَلِيَّ الأَشْوَسَا

١٠٩- وَيَا جُدَيَّ مَنْ يُصَلِّي فَأَسَا

١١٠- وَيَا قَثُومًا بِالتَّوَاضُعِ كُسَى

١١١- وَصَاحِبَ الْحَدِيثِ مَنْ تَنَطَّسَا

١١٢- مِنْ كُلِّ عَيْبٍ فَعَلَا وَرَأَسَا

(١٠٧-١٠٨) تغطرس: تكبر، والأشوس: الشجاع، والجمع: أشاوس.
(١٠٩-١١٠) الجدي: هو نجم الشمال المعروف، مما يستدل به على القبلة، يقول: أنت دليل المصلي، وذلك كناية عن فقهه. وهنا يمدح شيخه عليًّا سك الذي درس عليه كثيرا من الحديث وعلومه، وقرأ عليه الموطأ للإمام مالك. القثوم والقثم -بضم ففتح-: الجامع للخيور، وقد يراد به الجامع للشرور، فهو من الأضداد، ولا شك أن الأول هو المراد. وكسى: بالبناء للمفعول، وعلى لغة طيئ المذكورة، يريد: كسي، بالياء.
(١١١-١١٢) تنطسا من كل عيب: تطهر منه. علمته فانعكسا: يقول: كان جاهلًا ثم علم، أو ضالاً ثم اهتدى.

١١٣- فَكَمْ فَتًى عَلَّمْتَهُ فَانْعَكَسَا

١١٤- وَمُصْعِبٍ ذَلَّلْتَهُ فَاخْرَمَّسَا

١١٥- فَدَارَةُ الْمِنَنِ ضَمَّتْ مَجْلِسَا

١١٦- سَفِينَةُ الْعِلْمِ إِلَيْهِ قَدْ رَسَا

***



(١٠٣-١٠٤) اخرمس: ذل وخضع، ودارة المنن: دار المنن هو حي الراجز الطوبوي الذي نشأ فيها، وفيها شيخه المذكور الشيخ علي سك.

(١١٥) عبارة عن كثرة العلماء فيه.